قوانين السعادة

(2) أسعد الناس... يسعدك الله!!

هناك قاعدة شرعية تكلم عنها العلماء كثيرا وهي :

(الجزاء من جنس العمل)

وهي سنةٌ كونية إلهيةٌ، وقاعدة شريفة مستقاةٌ من النصوص الشرعية، ومعناها أن جزاء العامل من جنس عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهي تشبه ما ورد في الأثر: (كما تدين تُدان)

قال ابن القيم رحمه الله: (لذلك كان الجزاء مماثلا للعمل من جنسه في الخير

والشر ... فمن ستر مسلما ستره الله ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن أقال نادما أقال الله عثرته يوم القيامة ، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن ضار مسلما ضار الله به ، ومن شاق شاق الله عليه ، ومن خذل مسلما في موضع يحب نصرته فيه خذله الله في موضع يحب نصرته فيه ، ومن سمح سمح الله له ، والراحمون يرحمهم الرحمن وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ومن أنفق أنفق عليه ، ومن أوعى أوعى عليه ومن عفا عن حقه ، عفا الله له عن حقه ومن تجاوز تجاوز الله عنه ومن استقصى استقصى الله عليه فهذا شرع الله وقدره ووحيه ، وثوابه وعقابه ، كله قائم بهذا الأصل ، وهو إلحاق النظير بالنظير ، واعتبار المثل بالمثل)[1]

فإذا أردت أن يحسن الله اليك فأحسن إلى الخلق.

وإذا أردت أن ييسر الله عليك فيسر على الخلق.

وإذا أردت أن يساعدك الله فساعد من يحتاج مساعدة من الخلق.

ارحم الناس يرحمك الله، اعف عن الناس يعفو الله عنك...

ونفس الكلام في موضوعنا عن السعادة :

إذا أردت أن يسعدك الله فأسعد الناس.

وهذا ما قاله الرسول ﷺ قال: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا ، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن اعتكف في هذا المسجد ، يعني مسجد المدينة شهرا)

وسائل إسعاد الناس

أولا/ إسعاد الناس بالبسمة والتبسط:

ديننا دين جميل – الحمد لله على نعمة الإسلام – دين يعلمنا أن المجتمع ينبغي أن يكون قائما على الحب ، لا مكان فيه للأنانية، ولا للعداوة، ولا للخصام؛ فهو دين قائم على الحب، والابتسام في وجوه الناس.

وفي الحديث: (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) يعني بشوش جميل.

وعلمنا أن البسمة عبادة فقال رسول الله ﷺ : (تبسمك في وجه أخيك صدقة) فإشاعة البسمة على من حولنا هدي نبوي نقتدي فيه برسول الله ﷺ

ويقول جرير بن عبد الله رضي الله عنه: (ما رآني رسول الله ﷺ إلا وتبسم في وجهي)

فكانت الابتسامة دائما مرتسمة على وجهه ﷺ، وكان لين جانبه وبساطته

المعهودة تجعل في قلبه مكانا لكل مسلم من المسلمين حوله فلا يشعر أحد منهم بغربة عن المجلس، أو برهبة، أو بخشية، حتى الرجل الذي اقترب منه رسول الله ﷺ فارتعدت فرائصه فقال له :

(هون عليك يا أخي فإنما أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل القديد)

يعني أنا لست جبارا ولا ذا سلطان ظالم ؛ إنما أنا ابن امرأة عادية من أهل مكة .[2]

والمقصود الإشارة إلى أنه رجل من الناس متواضع لا متكبر ولا متغطرس ولا يجعل لنفسه مكانة فوق الناس .

وكان ﷺ(هاشّا باشّا بسّاما ضحّاكا) باشّا من البشاشة وهي السرور الذي يظهر في الوجه.

ثانيا/ إسعاد الناس بقضاء حاجاتهم:

أيضا من أبواب إدخال السرور على المسلمين أن تقضي حاجة أخيك، إذا أعطاك الله خبرة في القوانين أو إنجاز بعض الأوراق الرسمية، أو شراء أو تصليح شيء فدله على ذلك ؟ أو إن كان يحتاج للعمل اشفع له ، والشفاعة في الخير خير ؛ طالما أنك لا تأخذ حقا ليس لك ، أو لصاحبك ولا تظلم غيرك.

والرسول ﷺ قال : (اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء)

وكان ابن عباس في مسجد الرسول ﷺ معتكفا ، فجاءه رجل يطلب شفاعته بحكم مكانة ابن عباس وهو ابن عم رسول الله ﷺ بين المسلمين فيشفع له عند رجل ، فقام معه وخرج من المسجد فاستوقفه البعض كيف تخرج من المسجد وأنت معتكف ؟ قال : سمعت رسول الله يقول: (ولأن أمشي في حاجة أخي خير لي من أن أعتكف في مسجدي شهرا.)

لاحظوا الركعة بمسجد الرسول ﷺ بألف، وعلى الرغم من ذلك فإنك إذا قضيت لأخيك حاجة وسعيت معه لذلك الأمر؛ فهذه خير عند الله وأعظم أجرا من اعتكاف شهر في مسجد رسول الله ﷺ.

ثالثا/ إسعاد الناس بالتبشير بالخير:

أذكر الخير .... انشر الخير.....

إذا علمت خبرا سارا كن أول من يبشر به ، إذا علمت خبرا سيئا فلا تخبر به؛ إلا للضرورة إذا تعين عليك ، لكن لست مكلفا أن تتصل يا فلان أنا علمت في كذا وكذا ..... مما يسوؤه ويحزنه سبحان الله العظيم!!

الشيخ عبد الحميد كشك ذات مرة – وكانت الهواتف قليلة في الماضي- اتصل به رجل من الإسكندرية عند الجيران ، فطلبوا الشيخ ، وراح فقال خيرا يا ابني ؟

قال أنا حلمت إنك مت !! فقال الشيخ : عشان استريح من وشك (وجهك).

فما الضرورة في أن تزف الأخبار السيئة للناس؟

لماذا لا نتبع قول النبي ﷺ" يسروا ولا تعسروا ، بشروا ولا تنفروا "

فلا تكن ناقلا لخبر سيء ، وانقل الأخبار السارة ؛ فإذا اضطررت لنقل خبر سيء فتجمل في عرضه أو نقله وتلطف مع من تخبره .

ابن سيرين وتفسيره لرؤيا:

ويذكر أن الأمام ابن سيرين وهو من أعلام التابعين وله أخبار عديدة في تفسير الرؤى جاءه رجل محزون مكروب قال له رأيت في الرؤيا كأن أسناني كلها قد وقعت فأخبرني من أخبرني أن أهلي جميعا سيموتون .

فقال له : بل سيبارك الله في عمرك حتى تكون آخر أهلك موتا .

المؤدي واحد لكن فارق كبير بين التعبيرين .

مشهد توبة الله على كعب بن مالك :

أنقل لكم مشهد كعب بن مالك ، وكعب كان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك وأمر الرسول ﷺ بهجره هو وصاحبيه (يقاطع الجميع تربية وتأديبا له) ، بعد خمسين ليلة نزل على رسول الله ﷺ خبر توبة الله على كعب وصاحبيه فخرج النبي وأخبر بعض أصحابه بالخبر وكان ذلك في الثلث الأخير من الليل ، ماذا فعل القوم ؟

خرج أحدهم حتى صعد على جبل سلع [3] ، وجعل ينادي بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر!

وآخر ركب الفرس وجعل يعدو سريعا حتى وصل إلى كعب ليبشره ، وذهب كعب إلى المسجد عند الفجر فاستقبله الناس وهنأوه قال : فقام إليّ طلحة مهرولا فهنأني واحتضنني فوالله لا أنساها له .

وتوجهت إلى رسول ﷺ فإذا بوجهه يبرق من السرور .

هذا هو المجتمع عندما يحب بعضه بعضا ويفرح الجميع فيه بتوبة الله على عبد من عباده (كعب بن مالك)

رابعا/ إسعاد الناس بالهدية:

والهدية قال عنها النبي ﷺ: (تهادوا تحابوا)

وأسعد الناس بك هم أقاربك وإخوانك وأرحامك، وتبدأ بوالديك وزوجتك وأولادك ، كل هؤلاء أولى ثم أصدقاؤك ، وسائر من حولك .

كذلك تستحب الهدية لمن كان بينك وبينه موقف أو شحناء :

يقول النبي ﷺ: (إن الهدية تذهب وحر الصدر)

وحر الصدر هو : الحقد أو الغيظ بسبب مشكلة أو مشادة، فالهدية وإن كانت

رمزية لها مفعول كبير في إسعاد من حولك .

والخلاصة:

- كن دائما سببا لإسعاد غيرك .
- كن رحمة للناس: إذا حضرت سعد الناس بك ، وإذا غبت افتقدك الناس.

نسأل الله أن نكون ممن يسعدون بإسعادهم الناس ،

وأن يقضي حاجات المحتاجين

وأن يفرج كرب المكروبين

اللهم آمين.

---

[1] إعلام الموقعين، ج 1، ص 196

[2] القديد هو اللحم المقدد كانوا يعرضون اللحم للشمس ليصير يابسا كوسيلة من وسائل الحفظ

[3] وكان جبلا بجانب مسجد الرسول ﷺ ولم يعد له وجود الآن مع التوسعات.